آليات اشتغال الترجمة المنظورة داخل المؤسسات

نوال مجاهدي
جامعة وهران

إن الترجمة المنظورة بوصفها فعلا لسانيا وأداة تواصل تجعل الترجمان حائرا أمام نص يخضع باستمرار إلى عملية مد وجزر لا متناهية قبل وإثناء وبعد الترجمة.

ترجمان يقرأ ويؤول وينقل من لغة إلى أخرى، لخدمة مستمع/متلقي قد يكون في أغلب الأحيان غير راض عن هذه الترجمة لما تحمله من أخطاء في اختيار المقابل الصحيح أو ركاكة في الأسلوب وضعف في اللغة، وهذا قد يؤدي إلى عجز الترجمان على توصيل المعنى العام للنص وتحقيق التواصل المنشود ورد الفعل الحقيقي.

وفي الواقع، إن الترجمة المنظورة باعتبارها شكلا من أشكال الترجمة الشفوية، ذات طابع هجين، تجمع بين نوعين من الخطاب المكتوب والشفوي، وبالتالي بين عمل المترجم والترجمان في آن واحد، فينطلق من:

اللغة الأصل		اللغة المستهدفة
النص	← قراءة بصرية ←	خطاب شفوي

ترجمة منظورة

ونتيجة لذلك، "ينبغي على الترجمان أن يكون قادرا على التعرف على الرموز المكتوبة وتحويلها إلى "كلمات منطوقة" أو صور" (الترجمة لنا).

"Interpreters must be able to recognize the symbols on the page and convert them into "spoken words" or images.[1]

وبناء عليه، تعتبر الترجمة المنظورة تقنية معقدة ومتميزة، تعد نقطة عبور الترجمان لتجاوز حدود النص المكتوب. فعمله هنا شبيه بعمل المترجم باعتبار أن كل واحد منهما ينطلق من ما هو مكتوب ويستهدف متلقيا يجهل لغة الأصل وسط سيرورة تواصلية وثقافية واحدة.

إلا أن الاختلاف يكمن في الإستراتجية التي يتبعها كل واحد منهما، بل وأكثر من هذا المسار الذي يتخذه النص خلال العملية الترجمية وما ينتج عنها. إنها عبارة عن قراءة بصرية للنص يتم خلالها فهم أولي للمعنى ثم ترجمته ترجمة ذهنية وإلقائه بطريقة شفوية، فهي بمثابة إعادة صياغة لعناصر خاصة بالخطاب المكتوب إلى عناصر أخرى تخص الخطاب الشفوي.

والجدير بالذكر أن الترجمة المنظورة أصبحت، في أيامنا هذه، تشكل الحل الأمثل خلال الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات، نظرا لكثرة المشاركين فيها أو انضمام أعضاء جدد لتجمعات دولية كالإتحاد الأوربي وغيرها... بحيث أصبح من غير الممكن السماح لكل مشارك التعبير عن كل ما يريد قوله دون احتساب الوقت، لذا تقدم نسخة من الخطابات في شكل نصوص مكتوبة للترجمان الذي بدوره يقوم بتتبع المتلقي وهو يقرأ النص قراءة بصرية ليترجمه مباشرة، وهذا ما يسمى أيضا بالترجمة المتزامنة بالنص. فهي على حد تعبير" فان هوف":

(…) une variante élémentaire de l'interprétation simultanée moderne à qui l'on soumet un texte qu'il n'a jamais vu auparavant et qui soit directement, soit par le truchement d'un microphone le débite sur le

champ dans une langue différente de l'originale, fait en réalité de la traduction à vue.[2]

"فهي إحدى المتغيرات الأساسية للترجمة المتزامنة الحديثة، بحيث يتم تقديم للترجمان نصا، لم يضطلع عليه مسبقا، والذي يقوم بدوره بإلقائه، سواء بطريقة مباشرة أو بواسطة ميكروفون، بلغة تختلف عن اللغة الأصلية فهنا نكون، في الحقيقة، أمام ترجمة منظورة". (الترجمة لنا).

وبناء على ما سبق، نجد الترجمان أمام معضلة القراءة وتحديد المعنى الصحيح دون تضييع للوقت الذي يعد العامل المحدد للجودة مع عدم التركيز على الكلمات لفترة طويلة، فهو يقوم باسترجاع معارفه السابقة في شكل استحضارات ماضية لمعجمه الخاص وكل ما قد تحيله الكلمات من المعاني سابقة لديه. فنجده يجمع كل معلوماته المشكلة لخلفيته المرجعية لينتج معنى أخير وعام للنص، وهذا يتم حتما بعد عملية فرز للأفكار، آخذا بعين الاعتبار الرابط الموجود بينهما ومدى أهمية كل فكرة داخل دوامة من الجمل المتسلسلة التي قد يؤدي عدد كلماتها الكبير إلى ضياع الترجمان وسط سواد وبياض قد يرهق نظره. فالنص"حيز ينطوي على بياضات وفراغات وتخترقه شقوق وفجوات".[3]

ومما لا شك فيه، إن عملية استرجاع المعارف السابقة، هي في حقيقة الأمر، من أولويات عمل الترجمان خلال الترجمة المنظورة ويتم ذلك من خلال اللجوء إلى الذاكرة المعرفية mémoire cognitive[4] بحيث يتم تذكر كل معلوماته المتعلقة بالموضوع، أضف إلى ذلك كل ما جاء في النص من إشارات أولية تمكن الترجمان من التعرف أكثر على المادة المقروءة دون اكتراث بعدد الكلمات والطريقة التي كتبت بها. ففعل القراءة إذن فعل تلازمه عملية استرجاع الرصيد المعرفي للترجمان.

وهذا ما يدفعنا للقول، بأن فعل القراءة يقوم بدور جوهري خلال الترجمة المنظورة، فسرعة وطريقة الترجمان في القراءة تحددان معالم نجاح أو فشل الترجمة.

إنه يقوم بدور القارئ ثم بدور المتلقي الذي يستهدف متلقيا آخر. فهو ينقل ما قرأ، بمعنى يترجمه شفويا إلى مستمع أخر، فتصبح القراءة إذن عملية تواصلية بين النص والقارئ/الترجمان، فتولد لديه حالة من الشعور الخاص تجعل الترجمان يطمح إلى تأويل النص وملئ الفراغات الموجودة داخله وكأنه يرغب في إتمامه من خلال تأويلات التي يقدمها لهذا النص. فيصبح للقارئ مساحة واسعة تتيح له المجال للمساهمة في الخلق: "فكل قراءة تبدأ بمعرفة شيء ما معرفة ما، يحتاجها القارئ أولا، ماذا يريد أن يقرأ في النص وماذا يريد النص أن يقول له".[5]

فهي، في حقيقة الأمر، فعل يستدعي حضور معارف وقدرات ذهنية عالية من أجل التوصل إلى بناء المعنى أي قصدية الكاتب التي تعتبر بدورها درجة من درجات نجاح عملية القراءة.

والجدير بالذكر، إن نجاح فعل القراءة يرتبط بمدى السرعة أو بطئ الترجمان بحيث تنتقل عيناه من سطر إلى آخر في شكل "قفزات"[6] بسرعة متفاوتة، فهي تشكل عنصرا هاما في عملية القراءة وتعتمد أساسا على مدى صعوبة النص.

فالنص المعقد يستلزم عددا أكبر من التراجعات وعددا أقل من القفزات، فهي بالفعل تتحكم في حركة العين بحيث "إن طول القفزة الواحدة يتراوح ما بين 9.2 إلى 6.8 أحرف بينما المعدل المتوسط للتراجعات فهو ما بين 3% إلى 18% (6% بالنسبة للمقال الصحفي و10% بالنسبة للنص الأدبي)" (الترجمة لنا).
"La longueur des saccades passe de 9.2 à 6.8 lettres, quant au pourcentage moyen de régressions, il varie

entre 3% à 18% (6% pour un article de journal et 10% pour un classique littéraire)".[7]

ومن هنا نستنتج أن صعوبة النص تتحكم في سرعة القارئ وقدرته على الفهم، فامتلاك لخلفية مرجعية واسعة ورصيد لغوي غني يسمحان له بالقيام بعدد أكبر من القفزات والابتعاد بقدر المستطاع عن التراجعات التي قد تحد من سرعته، فتتولد لديه حالة سيكولوجية تظهر من خلال الشعور بالارتباك والقلق، وهذا ما سيؤثر حتما على ترجمته وطريقة إلقائه للخطاب الناتج.

فالقراءة، إذن، بوصفها عملية معقدة للغاية لا يمكن للقارئ/الترجمان التحكم فيها كلية لكونها عبارة عن مجموعة من الآليات الجسدية والذهنية واللغوية المتداخلة. أو بعبارة أخرى، إن القراءة "ليست مجرد تحليق"(الترجمة لنا). lire n'est pas survoler[8] ونخص بالذكر هنا، القراءة الصامتة التي تعد أساس كل ترجمة منظورة والتي لا تعتبر فقط "قراءة بصوت مرتفع موجود بداخلنا بل أن القراءة الجهرية هي التي تعد قراءة صامتة بنبرات صوتية"(الترجمة لنا).

La lecture silencieuse n'est pas une lecture à voix haute qu'on intériorise. C'est la lecture à voix haute qui est une lecture silencieuse qu'on sonorise.[9]

ومن هذا المنطلق، نستنتج بأن الترجمان أمام معضلة كبيرة تبدأ من ضرورة تركيز اهتمامه على النص الموجود أمامه من خلال تداخل مجموعة من العمليات الذهنية المتشعبة تكون حاضرة بصفة ضمنية، نذكر منها الذاكرة بنوعيها الانتباه والتركيز الدائمين. فمهمته صعبة للغاية تستدعي حضورا ذهنيا ومعرفيا يساعداه على تفادي العقبات الموجودة باستمرار خلال الترجمة المنظورة. فخلال قراءته للنص ومحاولة فهمه، يشد انتباهه أمور كثيرة أهمها: "الحروف

وعلامات الترقيم وتوزيع الفقر وعلاقة البياض بالسواد والفضاء النصي والفضاء التصويري".[10]

ومن الملاحظ أيضا، أن انتباه الترجمان متوقف على مدى إدراكه للفضاء النصي وتفكيكه لرموز الكلمات و الجمل. ونتيجة لهذا "تذهب عين الترجمان مباشرة للبحث عن مقاطع في النص تتوافق ووحدات المعنى الموجودة في ذاكرته" (الترجمة لنا).
"Le regard de l'interprète va à la recherche des passages du texte correspondant aux unités de sens qu'il a en mémoire ».[11]

وهو يعتمد على معلوماته السابقة أكثر من اعتماده على الجانب اللغوي الذي يأتي كمرحلة ثانية. فقوة التركيز وشدة الانتباه يعتبران من بين الشروط الأساسية لعملية الترجمة المنظورة والإلقاء معا. فالانتباه مشروط بمدى رغبة الترجمان في ترجمة النص ونقصد به "الانتباه المرغوب" "Intention voulue"[12] والذي بدوره يعتمد على درجة "الانتباه العفوي"Intention spontanée"[13] الذي يمتلكه كل فرد وهو يقوم بأعمال اليومية العادية. إن الترجمان بعد كل تجربة ترجمية ينمي قدرته على الانتباه، وذلك حسب نوع المواضيع المعروضة عليه، إذا ما كانت تتعارض واهتماماته أو تتوافق معها.. ففي حالة التوافق، ستكون درجة الانتباه المرغوب فيه عالية جدا، تعكس مجهودا فكريا عاليا وإدراكا ذهنيا لكل ما قد يحمله النص من المعاني يسهل على الترجمان اكتشافها وبالتالي فهمها وترجمتها.

وعليه، فإن الفهم يعد من أكثر الأمور تعقيدا خلال كل عملية تواصلية، وهو يرتبط بمدى قدرة الترجمان على الاستيعاب ومعرفته الكاملة لكل ما يحيط به، وهذا ما يشكل خلفيته المرجعية التي تظهر لنا جليا بعد كل ترجمة، فهي تساعده على كشف خفايا النص من مدلولات ومعان وصور... فيدخل في حوار خفي مع النص، يهدف من خلاله الى "السعي لكشف الغامض والمستتر من خلال الواضح والمكشوف،

اكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما يقوله بالفعل وهذا الفهم للغامض والمستتر يتم من خلال الحوار الذي يقيمه المتلقي مع النص".[14]

فتفاعل الترجمان مع النص يعكس قدرته على رفع الستار على دوره الإيجابي وإبراز شخصيه وإثارة فضوله لمعرفة نوايا صاحب النص الأصلي وبالتالي ترجمته، يبعد الترجمان عن كل سوء فهم محاولا الانصهار داخل النص والتوفيق بين أفق النص وأفق توقعه من أجل التوصل إلى بناء المعنى وإحداث نفس الوقع الجمالي بمعنى إثارة ردود فعل مماثلة إزاء خطابه الشفوي المترجم. هذا ما يبرهن مدى تفاعل الترجمان مع نصه، وفهمه وتأويله الصحيح للمعاني الظاهرة منها والخفية مستنجدا بكل معارفه السابقة أي ذاكرته التي هي عبارة عن جهاز لتخزين المعلومات واسترجاعها عند الضرورة، ونخص بالذكر الذاكرة طويلة المدى mémoire à long terme[15] وهي التي يتم اغناؤها مع تزايد العمليات الترجمية.

فلكل ترجمان طريقته الخاصة لاستحضار معارفه السابقة، بحكم أن الذاكرة تختلف من شخص لآخر. فهي، في الواقع، تجربة جديدة تساهم في إثراء مرجعيته أو ذاكرته بعد كل لقاء أو اجتماع. بمعنى بعد كل ترجمة، يخزن خلالها الترجمان كل ما هو جديد من معلومات وأفكار ويسترجعها في الوقت الذي تتم فيه عملية الترجمة.

وانطلاقا مما سبق، إن إتباع مثل هذه الإستراتجية الترجمية من حسن استحضار للذاكرة وإغناؤها باستمرار، أضف إلى ذلك، قراءة صحيحة ومتأنية تهدف إلى التوصل لبناء المعنى العام بتركيز وانتباه متواصلين قد يساهم لا شك في الوصول إلى ترجمة منظورة ناجحة إلى حد بعيد يلقيها الترجمان في شكل خطاب شفوي، مستعملا حركات وتعبيرات الوجه وغيرها... فيجعلها ترجمة تتميز عن باقي أنواع الترجمة الشفوية. ففصاحة الترجمان وطلاقة لسانه تعكسان مدى قدرته على التكييف مع الوضعيات التواصلية المتنوعة.

فالأمر هنا، يتعلق بعمليات ذهنية متشبعة تستدعي احتراما كاملا لشروط تحقيق الترجمة الشفوية، وتطبيقا لأسس يتم وفقها الانتقال من النص المكتوب إلى الخطاب الشفوي، بمعنى فهم فوري وإعادة صياغة ونقل آني ملازم لعملية القراءة ثم الإلقاء بطريقة مقنعة، تجعل الخطاب يشبه تماما النص الأصلي. فيتولد لدينا انطباعا بامتلاك الترجمان لقدرات نصية وخطابية عالية، بمعنى كل ما يحتاجه لإبراز إمكانيته الترجمية والتواصلية. فالترجمان، الذي يمارس الترجمة المنظورة، يمتلك القدرة على انتقاء الصائب دون اللجوء إلى القواميس والمعاجم أثناء الترجمة ولا إلى التصحيح والمراجعة بعد الانتهاء منها.

فتوافق أفق انتظار كل من صاحب النص الأصلي والترجمان بوصفه المتلقي الأول للنص وكذا المستمع بوصفه المتلقي الأخير يعد من أهم الغايات التي يطمح إلى تحقيقها الترجمان خلال كل ترجمة منظورة.

هوامش:

1- GONZALEZ R.D, VASQUEZ, V.F, MIKKELSON, H: Fundamentals of court interpretation, Theory, Policy and Practice. University of Arizona. Summer Institute for court interpretation series. Academic press Durham, 1991, P.402.

2- VAN HOOF (H): Théorie et pratique de l'interprétation avec application particulière à l'anglais et au français. Munch en, Max weber, 1962, P.190.

3- علي حرب، قراءة ما لم يقرأ (نقد وقراءة)، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع.60-61، 1989، ص47.

4- SELESKOVICH (D), LEDERER (M), Pédagogie raisonnée de l'interprétation. Didier érudition, office

des publications officielles des communautés euro-européennes. Paris, 2002, P.33.
5- حسن حنفي، قراءة النص، الهرمينوطيقا والتأويل, مجلة ألف, دار قرطبة للطباعة والنشر، دار البيضاء، 1993، ص22.
6- اسماعيل أبو غرايم، القراءة الصامتة السريعة, عالم الكتاب، القاهرة، 1983، ص21.
7- Jose MORAIS, L'art de lire, Ed Odile Jacob, Opus, Paris, 1999, P.127.
8- Ibid. P.49.
9- Jean FOUCAMBERT, La manière d'être lecteur, S.E.R.M.A.P, Ed. M.D.T, Paris, 1980, P.54.
10- محمد مفتاح، النقد بين المثالية والدينامية, مجلة الفكر العربي المعاصر، ع. 60-61، 1989، ص 47.
11- Ribot THEODULE, Psychologie de l'intention, Félix Alcan, Paris, 1889, P.49.
12- Ibid. P.49.
13- Ibid. P.49.
14- نصر حامد زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل, المركز الثقافي العربي, بيروت، 1992، ص32.
15- Leslie G, UINGERLEIDER, Les dédales de la mémoire, dossier. N° 289-07/1996, P.8.